

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لمستقبل دعوته أثناء العهد المكي

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

عبر مراحل السيرة النبوية سواء في مكة أو المدينة .. وفي أحوال الضعف والمحنة ، أو أحوال القوة والانتصار ، كان النبي ﷺ يخبر أمته التي كانت قليلة العدد بحدوث حقائق مستقبلية عامة ، تتضمن الإخبار بما سوف يحدث للأمة من الظهور والتمكين ، كما تتضمن الإخبار بما يحدث من القلاقل والفتن ونحو ذلك من الظواهر .. يؤكد ذلك الروايات الصحيحة : فضلاً عن غيرها من الروايات ، فهي تبين بجلاء أن النبي ﷺ قد أخبر ببعض معالم المستقبل بكل صوره ، فقد ورد أنه ﷺ قام مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره^(١) ، وأنه أخبر الصحابة رضي الله عنهم بما هو كائن^(٢) .

الأستاذ

الدكتور

عبد الرحمن

ابن علي

السندي *

بكالوريوس من
قسم التاريخ
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية ،
١٤٠١هـ .

- ماجستير في
التاريخ ، جامعة
الإمام محمد بن
سعود الإسلامية ،
١٤٠٦هـ .

- دكتوراه في
التاريخ الإسلامي
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية
١٤١٢هـ .

- يعمل الآن
أستاذاً مشاركاً
في قسم التاريخ
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية .

(١) انظر : البخاري . الصحيح مع فتح الباري ، كتاب القدر ، ١١ / ٤٩٤ .

(٢) مسلم . صحيحه ، كتاب الفتن ، ٤ / ٢٢١٧ .

ولقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالروايات في موضوع إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده ، فألحقوها بأبواب علامات النبوة مثل ما صنع الإمام البخاري^(١) .. واهتم علماء آخرون بهذه الروايات من خلال تخصيص أبواب لها ملحقة بمؤلفاتهم في السيرة النبوية ، مثلما نجد عند أبي نعيم الأصبهاني^(٢) والبيهقي^(٣) والذهبي^(٤) .. هذا مع أنهم وفي بعض الأحيان يوردون تلك الأخبار والروايات مع المناسبات التي قيلت فيها .

وفي هذه الدراسة سوف نقتصر على ما ورد من نصوص نبوية في العهد المكي من تاريخ النبوة الهادية ، وقد غلب على تلك الحقبة التاريخية وقوع أصحاب النبي ﷺ تحت طائلة الإيذاء والتهديد ونال النبي ﷺ من ذلك قدر كبير .

فعندما أخذ رسول الله ﷺ يدعو بمكة أمام الملأ ؛ وقفت الزعامة بمكة في وجه تلك الدعوة رافضة لها لما تنطوي عليه من تعيب لآلهم المزعومة وتسفيه لأحلام آبائهم ، ولما تحمله الدعوة من مبادئ منذرة بتقويض نفوذ الزعامة السياسي . لقد كانت الزعامة المكية ، ممثلة بالصفوة المحركة للنشاط الإداري والاقتصادي بمكة تؤمن بعبادة الأصنام كإرث من الماضي يحفظ لقريش منزلتها ومكانتها .. وبناء على ذلك كانت تتقمص الدفاع عن الوثنية وترفض ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ .

(١) انظر : صحيح البخاري ، ٤ / ١٦٨ .

(٢) انظر : دلائل النبوة؛ تحقيق محمد رواس قلنجي وعبد البر عباس ، فصل " ما أخبر به من الغيوب فتحقق ذلك كما أخبر به في حياته وبعد موته " ٢ / ٥٣٨ .

(٣) انظر : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده وتصدق الله جل ثناؤه رسوله في جميع ما وعده ٦٠٠ / ٣١٢ .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - السيرة النبوية ؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، باب من إخباره ﷺ بالكوائن فوقعت كما أخبر ص ٣٧٣ .

ومما جعل الزعامة المكية آنذاك تقف ضد الدعوة : أنها كانت تخشى على مستقبل علاقاتها مع العرب حال اتباعها للدعوة قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا﴾ (١) . يذكر الطبري في تفسير هذه الآية أن كفار قريش ذكروا أن متابعتهم للرسول ﷺ قد تقودهم إلى خلاف وحرب مع الناس (٢) كما وردت أخبار تفيد أن قريشاً وبعض زعمائها خافوا من أن ينقطع معاشهم من التجارة حال إجابتهم للدعوة (٣) كما يفهم من بعض النصوص أنهم ذكروا للنبي ﷺ إن قبائل مضر وربيعة لن تقبل الدعوة ولن تبايعه (٤) وهذا يعني أنهم كانوا يخشون تلك القبائل ورد فعلها في حال إجابة قريش للدعوة .

ولقد شهدت بطاح مكة صراعاً غير متكافئ بين حملة الرسالة المحمدية ، وبين الزعامة المكية التي تنكرت لما كانت مكة تعرفه عن رسول الله ﷺ من خلق عظيم من أبرز سماته الصدق والأمانة ، كما تنكرت لمنجزات أسرته الهاشمية ، خاصة أعمال هاشم بن عبد مناف وولده عبد المطلب بن هاشم ، وتعرض لرسول الله ﷺ .. ولجأت الزعامة المكية إلى أعمال الاضطهاد والإيذاء والتعذيب البدني لاتباع الدعوة .

وما كان ذلك مدعاة للتشاؤم والقلق المحبط عند الرسول الأكرم المحظي برعاية رب العالمين ، وما كان يقلق رسول الله إلا الخشية والأسف على عدم هداية بعض قومه بالرغم من حرصه على ذلك .

(١) سورة القصص ، الآية : (٥٧) .

(٢) جامع البيان مج ١٠ ، ج ٢٠ / ٦٠ .

(٣) البيهقي . السنن الكبرى ، ج ٩ ، ص ١٩٠ .

(٤) محمد بن إسحق . السير والمغازي ، ص ١٩٠ .

فضمن هذه الأجواء التي عاشتها مكة وعاشها المؤمنون : صدرت عن رسول الله ﷺ أقوال مبشرة ومتفائلة بما سيكون للدعوة من شأن وانتشار : أي أن الدعوة في منطلقها الأول وخلال خطواتها التأسيسية في العهد المكي كانت تملك رؤية للمستقبل ونظرة متفائلة بتحقيق الظهور والانتشار .

وفي هذه الدراسة سوف نتناول هذا الموضوع وفق الفقرات التالية :

المستقبل عند عرب الجاهلية :

ظهرت عدة أساليب تنبؤية للتعرف إلى المستقبل عند العرب ، فقبل الإقدام على أي أمر ذي شأن لا يدرون ما الأمر فيه ولم يتضح لهم يستقسمون بالأزلام^(١) ، كما كانوا يلجؤون إلى الكهان والعرافين الذين يدعون علم الغيب ويخبرون بما سيقع في الأرض^(٢) .

ومن أساليبهم التنبؤية ، الضرب بالحصى للحصول على ما يقع في المستقبل ، ومراقبة حركة الطير ، ومن ثم التفاؤل أو التشاؤم جراء هذه الحركة^(٣) ، وغير ذلك من الأساليب التي لا يخفى أن الإسلام قد حرمها وأبطلها^(٤) .

النبوات السابقة والوعود المستقبلية:

لقد كان المرسلون قبل النبي ﷺ يوعدون قومهم بمزيد من القوة والغنى في حال إجابتهم وعبادتهم لله وحده .

(١) انظر : اليعقوبي . تاريخه ٢٥١/١ - ٢٥٢ .

(٢) انظر : جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧٥٦/٦ - ٧٥٧ - ٧٧٢ .

(٣) جواد علي : المصدر نفسه ، ٧٨٢ / ٦ ، ٧٨٦ وما بعدها ، وانظر : حسين الحاج . حضارة العرب في الجاهلية ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤) انظر : قوله ﷺ " لا تأتوا الكهان .. " وقوله " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " مسلم : صحيحه ١٧٤٩ - ١٧٥١ : باب تحريم الكهانة .

يقول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿... اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١) .

ويقول تعالى حكاية عن هود عليه السلام : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ...﴾ (٢) .

وهذا موسى عليه السلام يطلب من قومه الصبر ؛ واعدأ إياهم العاقبة الحميدة ووراثه الأرض المباركة قال تعالى : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

قال بن كثير رحمه الله " وعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم" (٤) . ثم أخبر الله تعالى بوقوع ما وعد به ، فقال تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾ (٥) .

وإن استجلاء تاريخ النبوات عموماً في ضوء القرآن ؛ يبين لنا أنها تعد بالعاقبة والنصر للمؤمنين دون النظر إلى لونهم أو جنسهم .

هذا ويتجلى الإعداد للمستقبل والتحسب له في خطة يوسف عليه السلام لمواجهة

(١) سورة نوح ، الآيات : ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢٢٩ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧ .

الأزمة الاقتصادية التي توقع حلولها بمصر بعد سنوات من الخصب والنماء (١) .

النبي ﷺ و معرفة المستقبل :

إن إخبار النبي ﷺ بما سوف يقع من الأحداث والنتائج التي سوف تحرزها الدعوة وأهمها : الظهور والغلبة وتمام الأمر ، وغير ذلك مما سيأتي استعراضه - بإذن الله - في موضعه ، ولقد أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل ، ولا اطلاع له على شيء من ذلك؛ إلا بما أطلعه الله عليه (٢) . قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ... ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (٤) .

وتروي " الربيع بنت معوذ " (٥) رضي الله عنها أن جارية قالت بحضرة النبي ﷺ : وفينا نبي يعلم ما في غد .

فقال : " دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين " (٦) .

(١) انظر سورة يوسف الآيات : ٤٧ - ٤٩ ، ٥٤ - ٥٦ ، انظر : فهد صالح السلطان ، النموذج الإسلامي في الإدارة ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ٢٦٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

(٤) سورة الجن ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية ، كانت تغزو مع النبي ﷺ فتداوي الجرحى وترد القتلى إلى المدينة ، وكانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان " ابن الأثير : أسد الغابة ، ٤٥٢/٥ .

(٦) البخاري : الصحيح ، كتاب النكاح باب ضرب الدف ١٢٧/٦ .

حيث أنكر عليها إطرأها له بنسبة علم الغيب إليه ، وهي صفة تختص بالله تعالى " قال ابن حجر : وسائر ما كان النبي ﷺ يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالى إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك^(١) . فقد أطلع الله نبيه فيه على ما سوف تبلغه أمته من الملك والاتساع ، كما جاء في صحيح مسلم عن ثوبان " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ... " ^(٢) .

توقع المعارضة والهجرة :

قبل إعلان الدعوة والأمر بالإنذار كان لدى النبي ﷺ علم بأن قريشاً سوف تناصبه العداء ثم تخرجه ، نفهم ذلك من الروايات التي سجلت لنا حالة النبي ﷺ بعد نزوله من الغار إثر تلقيه الوحي ، فإن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها انطلقت بالنبي ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امرأاً تنصّر في الجاهلية يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى (عليه السلام) ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ ، أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، " لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً " ^(٣) .

وهكذا ، نجد أن النبي ﷺ يضع في حسبانهِ رد فعل قريش المتوقع ، وكان

(١) فتح الباري ٩ / ٢٠٣ .

(٢) مسلم : صحيحه . كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٤ / ٢٢١٥ .

(٣) انظر : البخاري . الصحيح مع الفتح ، ١ / ٢٣ .

ذلك من عوامل لجوء الدعوة في سنواتها الأولى إلى السرية والاستخفاء وقصر الدعوة على من تربطهم صلات بالنبي ﷺ^(١).

كما أصبح من خططه ﷺ البدء في البحث عن قبيلة أو بلدة تهئ له المجال لنشر دعوته ، ولعل مما يدل على أن البحث عن قبيلة مهيأة لحماية الدعوة قد بدأ في وقت مبكر، ما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في المواسم في مجنة وعكاظ ومنى يطلب منهم^(٢) النصرة والإيواء ، ومعنى ذلك أن هذا الاتجاه عند النبي ﷺ قد بدأ بعد ثلاث سنوات من نزول الوحي على أبعد تقدير ، ذلك أن سني العهد المكي إنما هي ثلاثة عشر عاماً ، وفي السنتين الأخيرتين منها كان النبي ﷺ قد كسب تأييد طائفة من الأوس والخزرج .

الرسول ﷺ والإعداد للمستقبل :

نعني بالمستقبل هنا المستقبل القريب الذي ينتظر الدعوة بمكة . لقد أدركت القيادة النبوية أهمية الإعداد لذلك المستقبل آخذة بعين الاعتبار المحاذير والأخطار والفوائد والنتائج المتوقعة ، فمثلاً لم تأخذ الدعوة الطابع العلني في بادئ الأمر توخياً للحذر من قريش وبطشها^(٣) ، ورأى ﷺ أن يهاجر بعض أصحابه إلى الحبشة^(٤) لما في ذلك من المصالح والفوائد المترتبة على ذلك .

(١) مهدي رزق الله : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٥٦ .

(٢) البيهقي . دلائل النبوة ، ٢ / ٤٤٢ .

(٣) انظر : رزق الله . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٥٥ . العمري . السيرة النبوية الصحيحة ، ص ١٣٢ .

(٤) ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ، ١ / ٣٤٣ .

وعندما تبين ان الزعامة المكية تقف حائلاً دون انتشار الدعوة وتمكنها في مكة. أصبح من الضروري بذل مزيد من الجهد لكي تنتقل الرسالة إلى وضع مستقبلي قريب تتمكن فيه من الانطلاق والانتشار. ومن ثم تنتقل إلى ظرف تاريخي تستكمل فيه الدعوة شروط بناء الأمة ذات الكيان الآمن البعيد عن الضغوط والمعوقات السياسية والاجتماعية.

وعند النظر في أهم ما راعته الدعوة وهي تتحرك نحو المستقبل ، نجد أن هناك بعض الخطوات والقضايا التي حرصت عليها الدعوة، في أثناء مسيرتها نحو المستقبل منها ما يلي :

١ - الإعداد الإيماني وتوطين الصحابة على الثبات ومن وسائل ذلك : حكاية قصص السابقين ، وإسماعهم القرآن الكريم، فكان إذا نزل القرآن ، قرأه رسول الله ﷺ على الرجال ثم النساء^(١) ، مما يقوي أفئدتهم ويهيئها لمواجهة التحديات ، والوعد ببلوغ الإسلام غاية الظهور وتمام الأمر كما في حديث خباب^(٢).

٢ - بذل الجهد والتحرك الدائم في إطار ثوابت العقيدة الإسلامية ، فقد بذل ﷺ جهده في البحث عن مكان مناسب تنتقل إليه الدعوة .

وركز ﷺ في أثناء طوافه بقبائل العرب في المواسم على القبائل المؤثرة ذات الشأن والمكانة والبعيدة عن نفوذ قريش ، ومن تلك القبائل ، شيبان^(٣) ، وبنو حنيفة ، وكندة^(٤) ، وغيرها من القبائل .. ويرد في بعض مرويات السيرة " أنه لا يسمع بقدام

(١) ابن اسحاق . سيرته ، ص ١٢٨ .

(٢) البخاري . صحيحه . باب علامات النبوة ٤ / ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) انظر : البيهقي . دلائل النبوة ، ٢ / ٤٢٤ - ٤٢٦ .

(٤) انظر : الطبري . تاريخه ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .

من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له^(١)؛ لأن الدعوة تتطلع إلى كيان في المستقبل كما قلنا ، يراد منه أن يكون مهد الانطلاق ونواة الانتشار ، وينبغي أن يكون مستقلاً بإمكاناته الذاتية ، غير خاضع لضغوط قريش ، قادر على توفير الحماية للدعوة .

٣ - التفكير في الأمور والنظر في العواقب :

مما لاشك فيه أن النبي ﷺ يتحرك في رعاية الله وبعد التوكل عليه وضمن ثوابت الدعوة، وقد انعكست خصائصه الأخلاقية وشمائله النفسية التي منحها الله إياها على مسيرة الدعوة وهو يقودها خطوة خطوة . ومن تلك الشمائل : فهمه العميق للأمور ووفور عقله ، ومما يتفرع عن العقل ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ، وحسن السياسة والتدبير^(٢) .. ولعل حادثة الهجرة من مكة - على سبيل المثال - تدل على أن النبي ﷺ أعد لهذه الحادثة ، وفكر في كل خطوة من خطواتها فاتخذ التدابير المناسبة، التي وقف عندها كثير من الباحثين^(٣) .

ولقد اصطحب النبي ﷺ خلال مسيرته الدعوية بمكة الصفات والمناقب التي رباها الله عليها ، وحباه إياها ، وذلك بعد التوكل على ربه جل وعلا ، ومن ذلك :
- الصبر على أذى قريش وضبط النفس بالرغم من العنف وقساوة المحنة التي نزلت باتباع دعوته ، والتي كان من الممكن أن تؤدي إلى التأثير على ثبات أصحاب الدعوة، أو جرهم إلى معركة لم يكونوا مستعدين لها .

(١) الطبري . تاريخه ٢ / ٣٥١ .

(٢) الصالحي . سبل الهدى والرشاد ، ٧ / ١٢ .

(٣) انظر على سبيل المثال : عماد الدين خليل . دراسة في السيرة ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٤١ .

سليمان السعود . أحاديث الهجرة ، ص ١٧٤ .

- الحرص على هداية قومه المشركين ، وعدم رغبته في أن تجري عليهم عقوبة تؤدي إلى هلاكهم جميعاً ، ويتضح ذلك عندما عرض عليه ملك الجبال بأمر من الله أن يطبق عليهم الأخشبين : جراء تكذيبهم ، فقال عند ذلك : بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ^(١) .

- التفاؤل وحسن الظن بالله وهو ما كان ديدنه ﷺ في شؤونها كلها ^(٢) ، ومنها مستقبل الدعوة ، إذ كان ﷺ واثقاً من بلوغ الغاية ، مدركاً أن مجال الدعوة وأفقها أوسع من رقعة مكة الجغرافية وأن الله تعالى سيختار لنصرة دينه من شاء من خلقه ، مستوحياً ذلك من القرآن الكريم . كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ سَرَّيْهِمْ أَیَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(٥) .

إن الجهل بخصائص النبي ﷺ وسجاياه ووعوده المتفائلة جعل بعض المستشرقين يجزم بأن محمداً ﷺ ما كان لديه من سبيل يجعله متفائلاً لمصلحة

(١) انظر : البخاري . الصحيح مع الفتح ، ٦ / ٣١٣ .

(٢) انظر : البخاري . المصدر نفسه ١٠ / ٢١٤ - ٢١٥ ، وانظر تعليق ابن حجر .

(٣) سورة الصافات ، الآيات ، ١٧١ - ١٧٣ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ ، ويذكر بعض المفسرين أن المراد ما نفتح لك من الآفاق ، وظهور الإسلام على سائر الأقاليم وسائر الأديان .

انظر : ابن جرير . جامع البيان . مج ١١ ، ٢٥ / ٤ . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم

١٠٧/٤ ، وانظر : الهمداني . تثبت دلائل النبوة ١ / ١٤ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٦ .

كفاحه المبرر ضد معارضة قريش في المراحل الأولى من مهمته^(١) ، وهو قول يصطدم بالنصوص الكثيرة التي بينت بجلاء أن النبي ﷺ وعد أصحابه وغيرهم مستقبلاً منظوراً سيكون من معالمه الظهور والغلبة ، وهو ما سوف نتناوله في فقرة آتية بإذن الله .

كذلك ظهر خلال مسيرة الدعوة بمكة نحو المستقبل الموعود ، ورحلتها المنهجية نحو تحقيق أهدافها العظيمة ، أثر بعض الصحابة رضي الله عنهم في مؤازرة رسول الله ﷺ خلال هذه المرحلة ، فلقد رجع إليهم رسول الله ﷺ وأخذ برأيهم في كثير من المسائل ، وتبرز في هذا المجال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي آزرت النبي ﷺ وكانت تهون عليه أمر الناس^(٢) ، وكان رسول الله ﷺ يرجع إليها ويشكو أحوال الدعوة ومشكلاتها ، وهذا ما نفهمه من قول ابن إسحاق عنها " .. كانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها "^(٣) ، كما يبرز أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، بمؤازرته للدعوة واعتمادها عليه خاصة أثناء العرض على القبائل حيث معرفته الواسعة بالأنساب وأخبار القبائل^(٤) .

Fred McGraw Donner

(١) انظر :

Meccas Food Supplies , and Muhammad's Boucott.p. 25.

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ﷺ ٢٥٩ / ١ .

(٣) ابن هشام . المصدر نفسه ٢ / ٢٥ .

(٤) انظر : رواية البيهقي بسنده إلى ابن عباس في دلائل النبوة ٢ / ٤٢٢ - ٤٢٧ . ابن حجر .

فتح الباري ٧ / ٢٢٠ ، وقد حسن ابن حجر إسناده هذه الرواية ، قال الطرهبوني : " الحديث في نفسي منه شيء ولولا تحسين الحافظ ابن حجر له لترددت في تحسينه " صحيح السيرة النبوية ، ص ٢٦٦ ، ٥٦٥ .

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيفهم من بعض الروايات أنه أسهم في نقل الدعوة إلى مرحلة استطاع فيها المسلمون الصلاة حول البيت . يقول عبد الله ابن مسعود : "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر" (١).

هذا وإن مشاورة الصحابة فيما لا نص فيه عملية بدأت منذ العهد المكي . ولا أدل على ذلك من اعتبار القرآن المكي الشورى بين المؤمنين قيمة من جملة القيم التي يتسم بها المؤمنون . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ... ﴾ (٢)، والآية كما نعلم مكية ، ولابد أن الدعوة في تلك المرحلة طبقت الشورى بين أفرادها قبل الإقدام على أية خطوة لا نص فيها ، وأحياناً قد يطرح الصحابي في العهد المكي رأياً يريد أن تتبناه الدعوة ، فيرى النبي ﷺ أن الظرف غير مناسب لتنفيذ ذلك الاقتراح ومثال ذلك تطلع بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى حمل السلاح ضد قريش ، روى الحاكم عن ابن عباس " أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا : إنا كنا في عزة ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة . فقال : إني أمرت بالعفو .." (٣) .

وبعد بيعة العقبة الثانية قال العباس بن عباد بن نضله: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيا فإنا فقال رسول الله ﷺ : « لم تؤمر بذلك، ولكن

(١) البخاري . الصحيح مع فتح الباري ، باب مناقب عمر ، ٧ / ٤١ ، وانظر ابن حجر . فتح الباري ٧ / ٤٨ .

(٢) انظر : سورة الشورى ، الآية : ٣٨ ، ولقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، انظر البيهقي . السنن الكبرى ٩ / ١٠٩ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢ / ٦٦ ، ٢٠٧ ، وقد صحح هذه الرواية وذكر أنها على شرط البخاري وأقره الذهبي . ويذكر الوادي أن في هذه الرواية من ليس من رجال البخاري ، وقد أخرجها في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ، ص ٧٢ .

ارجعوا إلى رجالكم .." (١) ، ويفهم من ذلك أن النبي ﷺ رأى أن تلك الخطوة لم يؤمر بها، وربما كان ذلك عائداً إلى عدة أسباب منها: أن فئة المدعوين بحاجة إلى مزيد من الجهد خاصة مشركي العرب الذين يأتون إلى منى أيام الحج ، وأن أمة الإسلام الناشئة بحاجة إلى مزيد من البناء والتربية لكي يتم الانتقال إلى الخطوة المقبلة (٢) . كما أن الدخول في نزاع مبكر مع قريش ينطوي على مخاطر كثيرة منها : أن عشيرة بني هاشم ربما تتخلى عن حمايتها لرسول الله ﷺ ومن ثم تتمكن قبائل قريش من القضاء على هذه الدعوة الناشئة (٣) .

المعارضون بمكة و مستقبل الدعوة :

رأى المعارضون للدعوة بمكة أن الدعوة تشكل خطراً على وحدتهم الاجتماعية وقيمهم الدينية، ومكانتهم عند العرب، وهكذا رسموا مستقبلاً ينذر بالعواقب الوخيمة لمكة في حال متابعتها للنبي ﷺ ، بل وفي حال استمرار الدعوة فيها .. ومما يوضح ذلك قولهم لأبي طالب : "إن ابن أخيك فرق جماعة قومك " وقول عتبة ابن ربيعة للنبي ﷺ " إنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم " ، وهناك المخاوف المستقبلية التي رأى المعارضون للدعوة أنها تحيط بمكة في حال إجابتها للدعوة ، وقد مر بنا ذكرها ، وتوضحها الآية الكريمة : ﴿ وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ (٤) .

- (١) انظر : ابن هشام . سيرة النبي ، ٥٧ / ٢ . الهيثمي . مجمع الزوائد ، ٦ / ٤٨ - ٤٩ ، وانظر : إبراهيم العلي . صحيح السيرة النبوية ، ص ١١١ - ١١٢ .
- (٢) انظر ابن هشام . سيرة النبي ٥٧ / ٢ . الهيثمي . مجمع الزوائد ، ٦ / ٤٨ - ٤٩ ، وانظر : إبراهيم العلي . صحيح السيرة النبوية ، ص ١١١ ، ١١٢ .
- (٣) انظر : عماد الدين خليل . دراسة في السيرة ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .
- (٤) سورة القصص ، الآية : ٥٧ .

كما تصوروا أن نمو الدعوة يمكن أن يؤدي إلى القضاء على نفوذهم وسلطانهم. ويدل على ذلك قولهم : "والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا" ولا يخفى أن انتزاعهم من أرضهم وابتزاز أمرهم هو من المخاوف المتهومة التي يغذيها الجهل بطبيعة الدعوة ومحتواها وعدم التفكير في أهميتها لقريش خاصة والعرب عامة . لقد أفرطت الزعامة في مكة في تقديرها للنتائج السلبية (المزعومة) التي تنجم عن اتباعها للدعوة وأهملت التفكير في الجوانب الإيجابية المترتبة على إيمانها بها ، وقد يكون من أسباب ذلك أن قريشا لم تول الفكر السياسي والديني الأهمية نفسها التي توليها لنشاطها الاقتصادي والتجاري وحكاية أساطيرها القديمة كما يفهم ذلك من قول شاعر القبيلة عبد الله بن الزبيري :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ورشوةً مثل ما ترشى السفاسير^(١)
وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له وقولها رحلت غير أتت غير^(٢)

لقد صمم الزعماء المعارضون على السير في طريق معارضة الدعوة وعندما رأوا أنها تحاول الامتداد والانتشار من خلال العرض على القبائل واللقاء بالوفود العربية القادمة للحج، خشوا من ذلك أشد الخشية؛ لأن ذلك يؤدي إلى كسب الدعوة أعواناً خارج مكة ومن ثم بدء انتشارها في الجزيرة العربية ذلك الانتشار الذي يعد أحد معالم المستقبل الذي تعد الدعوة أتباعها وغيرهم بتحقيقه ؛ لهذا حذروا العرب من اتباعه ﷺ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروهم إياه^(٣)

(١) السفسير : هو السمسمار ، والخادم والتابع . الفيروز آبادي . القاموس المحيط ، ص ٥٢٣ .

(٢) ابن سلام . طبقات الشعراء ، ص ٩٣ .

(٣) ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ١/ ٢٨٤ .

وحذروا بعض الأشراف والسادة الوافدين إلى مكة من الاستماع للنبي ﷺ والجلوس إليه مثل الطفيل بن عمرو الدوسي^(١) ، كما حالوا بين الأعشى الشاعر وبين الدخول في الإسلام^(٢) ثم أدهشهم وأزعجهم أشد الإزعاج أن يشرع النبي ﷺ في وضع نواة كيان سياسي واجتماعي خارج مكة يقوم في الطريق بين مكة والشام، حيث تمر قوافل قريش ومن ثم يقف في المستقبل عقبة كئوداً في وجه الزعامة المشتركة وأنظمتها الاقتصادية والسياسية ، فكان احتجاجهم على الأوس والخزرج قوياً بعد بيعة العقبة الثانية حيث قالوا : "يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تتشب الحرب بيننا وبينه منكم"^(٣) .

وإذا كان هؤلاء المعارضون للدعوة في مكة قد أدهشتهم خطوات النبي ﷺ التي قصد بها الانتقال إلى مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة تحرز فيها قاعدة خاصة لتهيئ نفسها للانطلاق في آفاق الجزيرة العربية والعالم المحيط بها ، فلقد كان بعضهم يتهمهم ويسخر أمام الأتباع بما يخبر عنه النبي ﷺ من وقوع أحداث تتضمن امتداد الدعوة وانتشارها وحيازتها للإمكانات المادية الضخمة التي كانت بيد الفرس والروم ؛ فمن أولئك المتهمين : الأسود بن يغوث بن وهب ، كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه : جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر ، ويقول للنبي

(١) ابن هشام . المصدر نفسه ، ٤٠٧ / ١ .

(٢) انظر : ابن هشام . المصدر نفسه ، ٤١١ / ١ ، ٤١٦ ، وانظر تعقيب ابن كثير ، على متن رواية مجيء الأعشى إلى مكة بهدف إعلان إسلامه . البداية والنهاية ١٠٣ / ٢ .

(٣) ابن هشام . المصدر نفسه ، ٥٧ / ٢ .

ﷺ أما كلمت اليوم من السماء^(١) .. وممن أظهر التهكم والسخرية . الأسود بن المطلب ، مع مجموعة من أتباعه ، حيث كانوا يقولون للمسلمين على سبيل الاستهزاء : قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر^(٢) ، أي المقالة السابقة نفسها . أما أبو جهل بن هشام ، فقد وقف مع أولئك الذين كانوا يترصدون دار النبي ﷺ بهدف قتله ليلة الهجرة ، وهو على ما يبدو موقن بأن ذلك الترصد والترقب سوف ينتهي بضربة تهز الدعوة وتقضي على آمالها .. وكان يقول لهم على سبيل التنذر والسخرية : "إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح"^(٣) . ويبدو أن هذا الزعيم المضلل يشير عندما يذكر أن محمداً يعد أتباعه أن يكونوا ملوكاً للعرب والعجم ، يشير إلى الدور الدعوي الذي كان النبي ﷺ يهيب أصحابه له ، ومعظمهم من قريش آنذاك ، فقد كان ﷺ يريد أن يكون رجال قريش حملة هداية وقنوات ساعية إلى الخير تنقل الإسلام إلى الآخرين من العرب والعجم ، فالناس تبع لقريش^(٤) ، وغير خاف أنهم كانوا يتندرون ويسخرون لإغواء الأتباع وإضلالهم إذ أنهم يعلمون صدق النبي ﷺ وبعده عن الكذب ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ... ﴾^(٥) وربما لم يحاول أحد من زعماء قريش إبصار معالم المستقبل الذي سوف تؤول إليه الدعوة اللهم إلا

(١) انظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ٧١/٢ ، الصالحي . سبل الهدى والرشاد ٢ / ٦٠٥ .

(٢) انظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ٧٥ / ٢ ، الصالحي . سبل الهدى والرشاد ، ٦٠٧/٢ .

(٣) ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ٩٥/٢ .

(٤) انظر : البخاري . الصحيح مع الفتح ، كتاب المناقب ، ٥٢٦ / ٦ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٣٣ .

عتبة بن ربيعة الذي يفهم من كلماته أنه أدرك أن وراء الدعوة نبأً عظيماً وأن الليالي والأيام سوف تحمل في طياتها خبر ظهورها ؛ لهذا دعا إلى التصالح معها ، يتضح هذا من قوله : "إني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به" ^(١) وفي مغازي موسى بن عقبة يرد قوله : "إن كان هذا الرجل ملكاً كنتم في ملك ابن أخيكم ، وإن كان نبياً لما تقتلوا النبي فتسبوا به" ^(٢) . وكلها تعكس ما ذكرناه من إدراك عتبة بن ربيعة لعظمة الرسالة وما وراءها من نبأ وقدر على الامتداد والانتشار .

لكن زعماء قريش لم يحكموا عقولهم فيبصروا معالم المستقبل الذي ينتظر هذه الدعوة الربانية ، ولم يكن بوسع عتبة بن ربيعة إلا أن يجاري تيار المعارضة حتى قتل في بدر ^(٣) .

الوعد بهزيمة جمع المشركين في المستقبل القريب :

بينما كانت قيادة قريش في أوج عظمتها ووسط ما تحفل به من بأس وسيطرة ، وفي غمرة ضغوطها على الدعوة وقائدها عليه الصلاة والسلام ووقوفها ضد إسلام القبيلة جميعها ، وسط تلك الظروف أخبر رسول الله ﷺ بزوال تلك العقبة التي تمثل جمع قريش الوثني الذي أخل بقيم كثيرة ، وحاد عن ملة إبراهيم

(١) ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ١ / ٣١٤ .

(٢) البيهقي . دلائل النبوة ، ٣ / ١١٢ .

(٣) ابن هشام . المصدر السابق ٢ / ٢٦٥ .

عليه السلام . ثم وقف معارضاً للدعوة متبعاً في ذلك أساليب غوغائية ظالمة . مما مهد لزوال سيادته وسقوطه وهزيمته ، وقبل ذلك أخبر القرآن الكريم بقرب وقوع الهزيمة المرتقبة التي سوف تحل بذلك الجمع ، كما وعدهم رسول الله ﷺ بذلك . قال تعالى في سورة القمر وهي مما نزل بمكة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ (١) .

يذكر الطبري في تفسيره أن المراد هنا هزيمة جمع قريش وقد أنجز الله ذلك الوعد ، فهزم المشركون في بدر (٢) ، وهذا مما " أنبأه الله من الغيب في حال ضعف الإسلام واستبعاد عامة الناس ذلك ، ثم كان كما أخبر " (٣) ، وهناك إحياءات قرآنية غير مباشرة يفهم منها أن هزيمة كفار قريش هي مما سيحدث ويكون . فإن من السنن الربانية التي تؤخذ من كتاب الله ، سوء عاقبة المكذبين (٤) الرافضين لمنهج الله ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولقد واجه كفار قريش الدعوة بالتكذيب والرفض وإنزال العقاب بمن آمن بها ، واشتدوا بصورة خاصة على الموالي المسلمين .

كما أن قصص الأنبياء في القرآن الكريم حملت إحياءات غير مباشرة تدل على أن قريشاً (أي أغليبتها الكافرة ونظامها الوثني والسياسي) سوف ينتهي كما انتهى أمر الكفار السابقين ومن أبرز هؤلاء (فرعون) الذي واجه دعوة موسى عليه السلام (٥) ،

(١) الآيتان : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) جامع البيان ، مج ١١ ، ٢٧ / ٦٤ .

(٣) ابن تيمية . كتاب النبوات - بيروت : دار الفكر (د . ت) ، ص ٢٤٩

(٤) انظر محمد بن صامل السلمي . منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٦٣ .

(٥) انظر على سبيل المثال : سورة الأعراف . الآيات : ١٠٣ - ١٣٠ .

لقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ سُمى أبا جهل (بفرعون هذه الأمة)^(١) ، في إشارة إلى أنه كان يقوم بالدور نفسه ، الذي قام به (فرعون) وإلى حمله بعض خصائصه التي قادته للهلاك .

هذا ويأتي من أبرز الوعود النبوية التي حملت الإشارة إلى مصير بعض قادة الملأ القرشي ما يلي :

١ - قوله ﷺ لبعض كفار قريش ، وقد غمزوه ببعض القول : "أتسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح " .

قال البيهقي تعليقاً على هذه الرواية : "في هذا الحديث : أنه ﷺ أوعدهم بالذبح وهو القتل في مثل تلك الحال فصدق الله تعالى قوله بعد ذلك بزمان فقطع دابرهم"^(٢) .

٢ - ورد أنه ﷺ أخذ قبضة من تراب فرمى به نحو المشركين الذين كانوا بالحجر (قرب الكعبة) يريدون النيل منه وإيذائه ثم قال : "شاهت الوجوه ، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر كافراً .."^(٣) .

٣ - تواعد النبي ﷺ بعض قادة المشركين كأبي جهل وأمّية وأبي ابنى خلف وعقبة بن أبي معيط .

فقد ورد قوله لأبي جهل : "وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ، فوالله لا يأتي

(١) انظر البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ٨٨ . الهيثمي . مجمع الزوائد ٦ / ٧٩ ، راجع : إبراهيم العلي . صحيح السيرة النبوية ، ص ١٧٧ .

(٢) دلائل النبوة ٢ / ٢٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢٧٨ .

عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً^(١) وحدث بمقتل أمية بن خلف^(٢) ، ومقتل أخيه أبي بن خلف ، فقتل أبو جهل وأمّية ببدر وقتل أبي بن خلف بعد أحد إثر جراح أصابته في المعركة^(٣) ، وأما عقبة بن أبي معيط ، فقد ورد أن النبي ﷺ قال له بعد ما تعرض لأذيته : لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فلما كان يوم بدر أسر في سبعين من قريش ثم قتل^(٤) .

ولقد تحققت الوعود النبوية بهزيمة جمع الملأ القرشي وتساقط رموزه في مدى زمني قصير ، حيث أسفرت معركة بدر عن هلاك عدد من قادة ذلك الجمع ورموزه وكان رسول الله ﷺ يخبر بأماكن سقوطهم قتل قبيل الحرب .

روى مسلم أن المسلمين لما انطلقوا إلى بدر ، قال رسول الله ﷺ : "هذا مصرع فلان"^(٥) قال : ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال فما ماط^(٦) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٧) .

-
- (١) الطبري . تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٣٤٨ . البيهقي . المصدر السابق ٢ / ٢٨٤ .
 (٢) قال ابن كثير : هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة . البداية والنهاية ٢ / ٦٥ .
 (٣) انظر : البخاري . الصحيح ، كتاب المغازي باب ذكر النبي من يقتل ببدر ٥ / ٣ .
 (٤) انظر : أبو نعيم . دلائل النبوة : تحقيق محمد رواس قلنجي وعبد البر عباس ، ٢ / ٣٨٢ .
 الصالحي . سبل الهدى والرشاد ، ٢ / ٦١٦ ، وقد ورد ما يفيد أن النبي ﷺ طعنه بحربة يوم أحد بعد ما أقبل على رسول الله يريد قتله ، وقد أصاب أبيّاً خدش ومات قبل أن يقدم مكة ، انظر : البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ٢١١ - ٢١٢ من رواية موسى بن عقبة بسنده إلى سعيد بن المسيب : راجع : البلاذري . أنساب الأشراف ١ / ١٢٨ .
 (٥) انظر : أبو نعيم الأصبهاني . المصدر السابق ، ٢ / ٤٧١ وإسناد الرواية صحيح ، انظر : إبراهيم العلي . صحيح السيرة النبوية ، ص ٨٤ .
 (٦) أي تباعد ، انظر : (هامش الجامع الصحيح ٣ / ١٤٠٤) .
 (٧) الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد . باب غزوة بدر ، ٣ / ١٤٠٤ .

أخبار نبوية مبشرة بظهور الدعوة وانتشارها جاءت في العهد المكي .

تبين نصوص السيرة العائدة إلى العهد المكي ؛ فضلاً عن تلك النصوص التي جاءت في العهد المدني أن النبي ﷺ أخبر بظهور دينه ، وسيادة شريعته ، في بلاد العرب والأقاليم الأخرى التي فتحها المسلمون .

فثمة طائفة من الوعود النبوية التي قيلت في فترات مختلفة من العهد المكي تؤكد ذلك، وتبينه بجلاء .

لقد وجه بعض تلك الوعود للصحابة رضي الله عنهم ممن كانوا يعانون من الاضطهاد بمكة، حيث الصراع غير المتكافئ مع طبقة الزعامة ، كما وجه بعضها لقريش ولبعض قبائل العرب ، وفيما يلي عرض لأبرز تلك الوعود :

١ - قول النبي ﷺ بعدما اشتكى إليه بعض الصحابة رضي الله عنهم ما يلاقونه من الأذى والاضطهاد: "... والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (١) .

ويحمل هذا القول وعداً نبوياً بأن الإسلام سوف يبلغ الغاية التي يريدها الله بحيث تكون السيادة له على مفاوز الجزيرة ومسالكتها حتى تلك المفاوز البعيدة ويعني ذلك أنه سيكون للإسلام شأنٌ سياسي معززٌ بالقوة المدافعة عنه .

لقد جاء هذا القول النبوي بهدف توطين نفوس أولئك الأصحاب الكرام على الثبات وطرد اليأس والشكوك من قلوبهم ومسح الآثار السلبية التي سببتها المقاومة العنيفة للرسالة النبوية .

(١) البخاري . صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ٤ / ١٧٩ - ١٨٠ .
أبو داود . السنن ، كتاب الجهاد ، ٢ / ٤٧ .

٢ - روت بعض مصادر السيرة النبوية أن المشركين تعرضوا لرسول الله ﷺ ولآبى بكر وعثمان - رضي الله عنهما - عند الطواف، ثم انصرف النبي ﷺ إلى بيته وقال للصحابة: " أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه وإن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً "(١).

٣ - جاء عند ابن سعد أن النبي ﷺ لما عاد من الطائف أقام بنخلة أياماً " فقال له : زيد بن حارثة رضي الله عنه : كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه... "(٢).

٤ - وفي أوائل سنوات الدعوة بمكة جاء أبو ذر الغفاري إلى النبي ﷺ ثم أعلن دخوله في الإسلام فقال له ﷺ " ارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل.. "(٣) وفي رواية أن النبي ﷺ أخبره أنه سوف يهاجر إلى أرض ذات نخل ، وهي المدينة جاء في الرواية " لا أرها إلا يثرب "(٤) .

وقريب من ذلك حصل لعمر بن عبسة السلمي، حيث قدم إلى مكة في الفترة نفسها ، فطلب منه النبي ﷺ العودة إلى أهله وقال له : إذا سمعت بي قد ظهرت فأتني (٥) .

يفهم من هذه النصوص أن النبي ﷺ يعد هذين الصحابييين وعداً متيقناً بظهور الإسلام وتسامع الناس به، ويحدد لأبي ذر الغفاري مكان هجرته، وتلك وعود صادقة وليست أحلاماً متخيلة أو كلاماً يراد به استقطاب الناس والاستحواذ على تأييدهم.

(١) ابن سيد الناس . عيون الأثر في فنون المغازي والشمائيل ٢ / ١٠٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ١ / ٢١٦ .

(٣) البخاري . صحيحه ٤ / ١٥٩ .

(٤) مسلم . صحيحه ٤ / ١٩٢٢ .

(٥) المصدر نفسه . ١ / ٥٦٩ .

٥ - جاء في بعض روايات حادثة المعراج ما يدل على أن أمته ﷺ سوف تنمو حتى تصبح ذات مكانة بين الأمم حتى أن الداخلين إلى الجنة منها يزيد على من يدخلها من أمة موسى عليه السلام^(١) التي سبقتها في الظهور بما يزيد على عشرة قرون ؛ ومعلوم أن الأمة في ذلك الوقت كانت صغيرة العدد، ضعيفة الشأن .

ففي صحيح مسلم يأتي قول موسى عليه السلام بعد لقائه بالنبي ﷺ أثناء حادثة المعراج "يا رب هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي"^(٢).

كذلك جاء في بعض الروايات حول المعراج ما يدل على أن بعض خصائصه الثابتة ، قد أخبر بها ﷺ في هذا المقام ومنها : أن الله أرسله رحمة للعالمين وكافة للناس وفاتحاً وخاتماً^(٣) .

وقبل ذلك جاء في " القرآن " والأمة في حال استضعاف وابتلاء ما يدل على أن الدعوة مقصود بها العالم والناس كافة قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وقال في سورة سبأ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

(١) انظر : البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٢) مسلم . صحيحه ١ / ١٥٠ ، كتاب الإيمان ، رقم الحديث (٢٥٩) ، وقول موسى عليه السلام هذا غلام ليس على سبيل التقصص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى محمداً ﷺ في ذلك السن مالم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه وقال الخطابي : العرب تسمي الرجل المستجمع للسن غلاماً مادامت فيه بقية من القوة في الكهولة . الصالحي . سبل الهدى والرشاد ٣ / ١٧٧ .

(٣) انظر : البيهقي . المصدر السابق ٢ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٤) الآية : ١٠٧ .

ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(١) وكل ذلك مما يعني أن الرسالة سوف تشرق بأنوارها على العالم المعروف لتؤدي مهمتها رحمة بالإنسانية وتبشيراً وإنذاراً لها ، وعلى كل فإن وعود النبي ﷺ بظهور أمته وانتشارها في تلك الظروف أي في العهد المكي ، حقيقة تؤكدتها نصوص السير النبوية الواردة في المصادر الأصلية لهذه السيرة الكريمة وفي الذؤابة من ذلك الصحيحان .

وليس الامتداد الذي أخبر به النبي ﷺ مقصوراً على إقليم الحجاز أو جزيرة العرب . كما تصور ذلك بعض المؤرخين الغربيين ، بل امتداد يشمل الأمم الأخرى غير العربية ، ومن الشواهد لذلك من واقع أحداث السيرة المكية ما يلي :

- ١ - روى ابن عباس أن الرسول ﷺ قال لعمه أبي طالب وعنده بعض زعماء قريش " إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها الجزية العجم "^(٢) .
- ٢ - ويروي يونس بن بكير^(٣) عن يونس بن عمرو^(٤) عن العيزار بن حريث^(٥) : " كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أدعو قريشاً لتملك براً وبحراً .. يا معشر

(١) الآية : ٢٨ . وفي صحيح مسلم جاء قول النبي ﷺ بعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٥٢١) وحديث رقم (٥٢٣) / ١ / ٣٧١ .

(٢) الحاكم النيسابوري . المستدرک على الصحيحين ٢ / ٤٣٢ . وقال عن هذه الرواية حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) أحد الرواة عن محمد بن إسحاق . صدوق . حسن الحديث (انظر : الذهبي . ميزان الاعتدال ٤ / ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٤) الهمداني . قال ابن معين : ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي : صدوق ما به بأس ، خرج أحاديثه مسلم وأصحاب السنن الأربعة ، الذهبي . المصدر نفسه ٤ / ٤٨٣ .

(٥) روى عن عروة بن الزبير وابن عمر . وثقة ابن معين والنسائي وغيرهما ، انظر ابن حجر . تهذيب التهذيب ٨ / ٢٠٣ .

قريش أطيعوني يطأ الناس أعقابكم إلى يوم القيامة، قال أبو جهل / والله لئن بايعناك يا ابن أخي لا تبايعك مضر ولا ربيعة، قال : بلى والله طوعاً وكرهاً وفارس والروم" (١) .

٢ - التقى النبي ﷺ بوفد قبيلة شيبان العربية في موسم الحج أثناء تجواله (بين وفود القبائل القادمة إلى مكة بحثاً عن قبيلة تحميه وتستجيب لدعوته ، وبعد حوار معهم أشاروا فيه إلى نزولهم قرب أنهار كسرى وأنهم قد عاهدوا عهداً أن لا يحدثوا حدثاً ولا يؤؤوا محدثاً ، ثم أظهروا تخوفهم من أن تكون الدعوة التي يحملها النبي ﷺ مكروهة عند أمراء وملوك فارس ، لهذا عرضوا نصرته داخل بلاد العرب .

فقال النبي ﷺ " ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه من جميع جوانبه ، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم " (٢) .

وبجانب ذلك هناك وعود مبكرة عن حيازة الأمة لكنوز كسرى وقيصر . روى الإمام أحمد في مسنده عن (عفيف الكندي) (٣) قال : كنت امرأً تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وكان امرأً تاجراً فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها

(١) سيرة ابن إسحاق : ص ١٩٠ / والرواية مرسلة .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة ٢ / ٤٢٦ ، وانظر : تحسين ابن حجر لإسناد هذه الرواية . فتح الباري ٧ / ٢٢٠ .

(٣) هو عفيف بن قيس بن معد يكرب ، وقيل عفيف بن معدي كرب .. وقد جاء إلى مكة لشراء الثياب والعطور ، انظر / ابن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣ / ٤١٤ . الطبري . تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٣١٢ .

مالت .. قام يصلي ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي : ثم خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي ، قال : فقلت للعباس : من هذا يا عباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي قال : فقلت : من المرأة قال : هذه امرأته خديجة بنت خويلد قلت : من هذا الفتى ؟ قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عمه ، قال : فقلت : فما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى وهو يزعم أنه يفتح عليه كنوز كسرى وقيصر^(١) ، وفي رواية البيهقي .. وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه^(٢) .

ويفهم من الرواية ، أن عفيفاً الكندي - رضي الله عنه - لم ير مع النبي ﷺ إلا خديجة وعلي بن أبي طالب ، فكان يقول : ليتني آمنت به يومئذ لأكون ثالثاً ، وكما هو واضح فالرواية تعود إلى المراحل المبكرة من دعوة النبي ﷺ ، بل عندما كانت الدعوة في بدايتها، مما يدل على أن النبي ﷺ كان يخبر عشيرته وأهل بيته، حيث ابتدأهم بالدعوة تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، يخبرهم بأن رسالته سوف تصل إلى ديار كسرى وقيصر ، وذلك في تلك المرحلة المبكرة من الدعوة ، وبما أن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أحد أعيان الأسرة الهاشمية،

(١) مسند الإمام أحمد (الفتح الرباني ..) ٢٠ / ٢١٣ ، ٢١٤ ، وانظر البخاري : التاريخ الكبير ٧٤/١/٤ ، البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ١٦٢ - ١٦٣ ، قال ابن عبد البر : حديث حسن جداً ، انظر : إبراهيم العلي ، صحيح السيرة النبوية ، ص ٥٣ ، انظر : محمد طرهوني . صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية ٢ / ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٢) دلائل النبوة ، ٢ / ١٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ١٧٦ والآية : ٢١٤ من سورة الشعراء وقد تبع إنذار العشيرة إنذار العرب ثم إنذار جميع ما بلغته الدعوة . انظر ابن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٢٠ .

فقد كان لديه علم بما كان النبي ﷺ يعد به وما ذاك إلا لأن النبي ﷺ كان يدعوهم وينذرهم قبل أن يعلن الدعوة على ملأ من قريش .

ويلحظ المتابع لوعود النبي ﷺ وإخباراته المستقبلية المتضمنة الوعد بحيازة المسلمين كنوز كسرى وقيصر أحدهما أو كليهما أن هذه الدعوة قيلت في مناسبات تاريخية متعددة ، منها ما تقدم عندما كانت الدعوة في مراحلها الأولى ومنها ما قيل في أثناء العرض على القبائل^(١) ، كما جاء في بعض المصادر أن النبي ﷺ قال لسراقة ابن مالك: "كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى" وذلك في أثناء الهجرة^(٢) . ومنها ما جاء به في أثناء غزوة الأحزاب يروي البيهقي أن رسول الله ﷺ لما رأى " ما فيه الناس من الكرب والبلاء جعل يبشرهم ويقول : والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء ، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت آمناً وأن يدفع الله عز وجل مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتتفقد كنوزهما في سبيل الله .. "ومنها ما قاله النبي ﷺ لعدي بن حاتم الطائي بعد إسلامه حيث وعد النبي ﷺ عدياً بفتح كنوز كسرى بن هرمز قال عدي رضي الله عنه : وقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز^(٣) .

وعلى أي حال فإن رواية عفيف الكندي تبين بجلاء أن النبي ﷺ في بداية دعوته يبشر بذلك الأمر، الذي ربما أثار ليس سخرية المعرضين، بل شكوك بعض

(١) انظر : البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ٤٢٦ ، مع ملاحظة أن الخبر تضمن الإشارة إلى أن الله يورث هؤلاء المدعويين أرض ملوك الفرس وديارهم وأموالهم ولم يرد في الإشارة إلى الكنوز .

(٢) انظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ٢ / ١٠٥ ، دون إسناد ، وروى البيهقي بإسناد منقطع أن النبي ﷺ كان ينظر إلى ذراعي سراقة وقال : كأني وقد لبس سواري كسرى ، البيهقي . السنن الكبرى ٦ / ٣٥٨ .

(٣) البخاري . الصحيح مع فتح الباري ٦ / ٦١٠ ، البيهقي . دلائل النبوة ٦ / ٣٢٣ .

أقارب النبي ﷺ بدليل أن العباس استخدم في هذه الرواية عبارة " يزعم " والزعم هو القول الذي لا يوقف على حقيقته^(١) .

ويظهر لي - والله أعلم - أن النبي ﷺ أراد من خلال الإخبار بحيازة المسلمين لكنوز كسرى وقيصر عدة مقاصد منها :

- ١ - نزع مهابة الفرس والروم من قلوب القرشيين والعرب عامة .
- ٢ - الإشارة إلى ضآلة إمكاناتهم المادية الضخمة بجانب قدرة الله عز وجل والإشارة كذلك إلى ضلال القيم الاجتماعية والدينية التي ترعاها مملكتا فارس والروم .
- ولئن رأى بعض الكتاب أن هذه الأقوال - أي إخبار النبي ﷺ - بأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه - ليس فيها أي شيء عن هداية الروم والفرس ، أو نشر الإسلام بينهم أو دعوتهم إلى الدين القويم ، وإنما يقتصر الأمر على انتهاب الكنوز^(٢)، فلا يخفى أن ذلك الرأي قد قصر عن إدراك الدلالات والمعاني التي تفهم من إخبار النبي ﷺ بأن كنوز كسرى وقيصر ستؤول إلى المسلمين^(٣)، كما أن الاعتراض على النصوص الثابتة ومحاكمتها إلى العقل ، منهجية خاطئة . أما دعوة هذه الأمم والحديث عن هدايتها ، فهي مخاطبة بالقرآن مثل غيرها من الأمم والشعوب ، وقد أشار النبي ﷺ إلى اهتداء طوائف منها وحرصهم على الإيمان خاصة الفرس ، يتجلى ذلك في قوله ﷺ لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء (أي قوم سلمان الفارسي رضي الله عنه) ، وفي رواية (لتناوله رجال من فارس)^(٤) .

(١) انظر ابن حجر . فتح الباري ١٠ / ٥٥١ .

(٢) محمد سعيد العشماوي . الخلافة الإسلامية ٠ - ٢ - القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ٧٧ .

(٣) انظر البخاري . الصحيح مع الفتح ٦ / ٦١٠ ، البيهقي . دلائل النبوة ٦ / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٤) البيهقي . المصدر نفسه ٦ / ٣٢٤ . قال الإمام القرطبي : وقع ما قاله ﷺ عياناً فإنه وجد

منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها مالم يشاركهم كثير من غيرهم (ابن حجر .

فتح الباري ٩ / ٦٤٣) .

وعلى أي حال فإن هذه النصوص المنبئة عن انتشار الإسلام خارج الجزيرة وحيازته المسلمين للإمكانات المادية الضخمة التي تتمتع بها دولتا فارس والروم توضح - مع نصوص أخرى - بما لا يدع مجالاً للشك أو التوهم أن المدى الجغرافي والبشري الذي تخاطبه الدعوة لا يقتصر على نطاق إقليمي ضيق ، بل يشمل الأرض قاطبة .

أهداف إخبار النبي ﷺ بانتشار الدعوة :

جاءت هذه الأخبار والوعود النبوية المبكرة بإتمام أمر الإسلام وظهوره وحيازته لجانب من الإمكانات المادية للفارس والروم ، في وقت اشتدت فيه المحن والكرب على المسلمين بمكة وفي ظرف تاريخي تعاظمت فيه صلات قريش وعلاقتها مع القبائل العربية ومع فارس والروم وغيرهما من الدول المعروفة ، وترتب على ذلك أن أصبح زعماء قريش يطرقون أبواب العالم القديم ويرتادونها ومن ثم يعودون مبهورين مخبرين العامة بأحوال هذه المدن وملوكها وأبطالها (المزعومين) كما صنع النضر بن الحارث مثلاً^(١) ، ولا يخفى أن استجلاءنا للأهداف يتطلب منه استدعاء تلك الملامح التي حفل بها السياق الزمني والظرف التاريخي الذي قيلت فيه هذه الوعود ، هذا وإن من أبرز أهداف تلك الوعود ما يلي :

- ١ - بث الطمأنينة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وتوطين أرواحهم على الثبات ومقابلة التحدي الذي يواجهونه .
- ٢ - التأكيد على أنه لن يصيب قريشاً أي ضرر نتيجة دخولها في الإسلام، بل سوف تتعاظم مكانتها^(٢).

(١) انظر : ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ١ / ٣٨١ .

(٢) خشيت قريش على تجارتها عندما تدخل في الإسلام وخافت على قوافلها؛ لأن دخولها في الإسلام كما تتصور يؤدي إلى خلاف مع القوى المسيطرة على إقليمي الشام والعراق . البيهقي . السنن الكبرى ٩ / ١٨١ .

٢ - تهيئة نفوس الصحابة وإعدادهم للمهام العظيمة التي سوف تناط بهم في مستقبل الأيام .

٤ - إزالة ما في النفوس العربية من إعجاب ورهبة من الفرس والروم .

٥ - إثبات صحة النبوة وصدق الرسالة المحمدية ، حيث أخبر النبي ﷺ بأمور مغيبة "وتوعدهم بالحرب قبل الحرب وفي حال الضعف، وهذا لا يقع من عاقل إلا أن يكون واثقاً بالله ساكناً إلى تنزيله ووحيه..."^(١) .

وإن من إعلام نبوته ﷺ إنه كان يتوعد قريشاً وهو بمكة بنصر الله له وظهوره عليهم فيقولون : "يظن محمد أنه يغلبنا على مكة بأصحابه الفقراء فهزمت جموعهم وكانت له العقبى كما أخبر وفصل"^(٢) .

٦ - تأكيد عالمية الرسالة الإسلامية وأنها لن تتوقف عند حدود الجزيرة العربية .

ونحن إذ نسجل أهداف هذه الوعود لا يفوتنا الإشارة إلى أنها لم تؤد إلى تكاسل وبقين أعمى واتكالية سلبية، بل صاحبها عمل دائب في سبيل إظهار الإسلام ونشره .

مع دعوى إنكار معرفة النبي ﷺ بانتشار دعوته أثناء عهدها المكّي:

ومع ما مر بنا من نصوص وأخبار عن انتشار الدعوة وظهورها جاءت كجزء من مضامين الخطاب الدعوي المنتمي للمرحلة المكية من تاريخ الدعوة : إلا أن العواطف المتعصبة والبيئة ذات المقاييس المادية أملت على جزء من المؤرخين الغربيين ممن كتبوا في الإسلاميات تجاهل أو إنكار ذلك . فلقد وقف بعض المستشرقين منكرين أو مشككين بوجود أي تصور مبكر يحمله النبي ﷺ عن الانتشار والامتداد الذي أحرزته أمته فيما بعد، حيث تضافرت عوامل التعصب والهوى وانعدام

(١) الهمداني . تثبيت دلائل النبوة ١ / ٨٣ .

(٢) الهمداني . المصدر نفسه ٢ / ٣١٣ .

الاستقراء الشامل لمصادر السيرة العطرة لتخرج للقارئ مجموعة من الأحكام والآراء المتعسفة في هذا الجانب وفي غيره .

يذكر (فلها وزن) إن النبي ﷺ لم يرد أن يتجاوز بأتباعه الدائرة التي ترسمها رابطة الدم، بل من الجائز أيضاً أنه لم يكن يستطيع تصور إمكان رابطة دينية في حدود غير حدود رابطة الدم ولذلك، فإنه لم ير أن رسالته هي أن تضم دعوته أتباعاً متفرقين هنا وهناك^(١) .

ويذكر (إميل درمنجم) أنه ليس لدينا ما نعرف به أن محمداً أبصر حين قال وهو على جبل عرفات : اللهم هل بلغت ؟ اللهم فاشهد "مستقبل أمته وانتشار دينه أو أنه أحس ببصيرته أن العرب الذين ألف بينهم سيخرجون من جزيرتهم لفتح بلاد فارس والشام وأفريقية وأسبانية"^(٢) .

والمؤسف حقاً أن نجد صدى هذا التصور المنقوص في موسوعة حضارية مثل (قصة الحضارة) لمؤلفها (ول ديورانت) حيث يذكر أن محمداً ﷺ لم يفكر قط في توسيع سلطانه خارج حدود بلاد العرب^(٣) .

ويذكر (سوندرس) أن ابتداء الإسلام خارج الجزيرة إنما كان من عمل الخليفة عمر ، ولم يكن عملاً داخلياً في برنامج الدعوة المحمدية؛ لأن محمداً لم يفكر دعوة أحد من غير العرب إلى الإسلام^(٤) .

ولبرو كلمان ومونتجمري وات آراء لا تخرج عن نطاق الآراء السالفة، حيث يرى

(١) تاريخ الدولة العربية ؛ نقله عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ص ٤ ، ٥ .

(٢) حياة محمد ؛ ترجمة محمد عادل زعيتر ، ص ٢٣٩ .

(٣) مج ٧ ، ج ١٣ ، ص ٤١ .

(٤) زكريا هاشم . المستشرقون والإسلام ، ص ٢٨٧ .

كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" أنه ليس من الميسور على وجه الدقة إقرار ما إذا كان النبي ﷺ قد استشعر أنه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية^(١). ويؤكد "مونتجمري وات" وهو المؤرخ الذي ألف ثلاثة كتب عن النبي ﷺ^(٢) أن محمداً اعتبر نفسه في البدء مرسلاً لقريش ، وليس لدينا أية وسيلة لمعرفة ما إذا كان قد فكر بتوسع أفق رسالته لتشمل العرب جميعاً قبل وفاة أبي طالب .. أو بعدها^(٣) ، ويناقش في كتابه "محمد في المدينة" مسألة تنبؤ النبي ﷺ بتوسع العرب فيما بعد ، ومتى بدأ تطلع المسلمين للانتشار في جزيرة العرب ؟ فيذكر أنه لمن الادعاءات الخيالية القول بأن محمداً قد تنبأ بالتفصيل بتوسع العرب فيما بعد ، ولا نجد في الحقيقة أي مصدر إسلامي قديم يدعي مثل هذا الادعاء^(٤) .

ثم يقول عن النبي ﷺ : يبدو أنه منذ معركة أحد طمح لأن يصبح زعيم كل العرب^(٥) ، فهو حين ينفي وجود تنبؤ (مفصل) عن انتشار الإسلام و (توسع العرب) لم يذكر تلك النصوص والروايات التي صدرت في وقت مبكر من الدعوة وحملت ما يدل على انتشار الإسلام بين العرب وغير العرب، أما كون النبي ﷺ يبحث منذ معركة أحد عن الزعامة والرئاسة على العرب فإن من له أدنى علم بالسنة النبوية يعلم أن قريشاً "واسطة عقد العرب" و "أهل الله وجيران بيته"^(٦) في نظرهم قد عرضت عليه خلال العهد

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية؛ ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي - بيروت، ١٩٧٧ م، ص ٧١.

(٢) ألف ثلاثة كتب عن الرسول ﷺ، هي : محمد في مكة ، ومحمد في المدينة ، ومحمد النبي ورجل الدولة ، انظر : محمد ماهر حمادة . مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ ، ص ١٥٢ ، وهو المحرر الأساس لمادة محمد في الموسوعة البريطانية .

(٣) محمد في مكة ، ص ٢١٩ .

(٤) محمد في المدينة : تعريب شعبان بركات ، ص ٢١٩ .

(٥) محمد في المدينة : تعريب ، شعبان بركات ، ص ١٥٨ .

(٦) انظر : ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ١ / ١٤٧ .

المكي من الدعوة، الملك والشرف، فقال عتبة بن ربيعة " إن كنت إنما تريد (بما جئت به) شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا" (١).
أن تلك الآراء التي تذهب إلى أن رسالة محمد إنما خوطبت بها قريش والعرب فقط وأن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن لديه تصور مبكر عن المدى الذي سوف تبلغه رسالته ، تتهاوى أمام النصوص الصريحة التي بينت بجلاء ، توقع النبي ﷺ انتشار دعوته وتفاؤله بامتداد رسالته خارج الجزيرة .
ومن تلك النصوص ما جاء في العهد المكي من السيرة أي في المراحل الأولى من دعوته، فضلاً عن النصوص الواردة في العهد المدني، والأحاديث النبوية المصروفة بانتشار هذا الدين في الآفاق ومن ذلك على سبيل المثال ، قوله ﷺ "إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها" (٢) .
وقوله "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين" (٣) .

ويبدو أن تلك الفئة من المستشرقين ممن نفوا أو شككوا بعلم النبي ﷺ المبكر بانتشار دعوته والبعد العالمي للرسالة؛ فعلوا ذلك ليوهموا القارئ أن دين الإسلام مقتصر على العرب ؛ سعياً للتفريق بين العرب المسلمين وإخوانهم المسلمين غير العرب (٤) .

(١) انظر : ابن هشام . المصدر نفسه ١ / ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) مسلم . صحيحه ، ٤ / ٢٢١٥ .

(٣) الحاكم النيسابوري . المستدرک ٤ / ٤٣٠ ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . البيهقي . السنن الكبرى ٩ / ١٨١ .

(٤) على أن هناك من المستشرقين من سلم بعالمية الرسالة الإسلامية كتوماس أرنولد . انظر : الدعوة إلى الإسلام ؛ ترجمة حسن إبراهيم حسن وزملائه ، ص ٤٨ ، ٥٠ ، وانظر : مازن مطبقاني . الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي : دراسة تطبيقية على كتابات برنادر لويس ، ص ٢٦٥ .

من الوعود إلى الإجازات :

جاء الواقع التاريخي بعد هجرة النبي ﷺ وإسلام الأنصار رضي الله عنهم مصداقاً لوعود النبي ﷺ ، وقبل ذلك وعود الكتاب الكريم ، كقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (١) وما هؤلاء القوم الموكلون بالدعوة - عند بعض المفسرين - إلا الأنصار أهل المدينة (٢) بالإضافة إلى المهاجرين الذين استقبلتهم مدينة الرسول ﷺ .

لقد كانت الهجرة النبوية نقطة تحول في تاريخ الإسلام ، ومما ترتب عليها اكتساب الإسلام قاعدة ينطلق منها ، هذه القاعدة هي المدينة المنورة التي قال عنها رسول الله ﷺ " أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة ... " (٣) ، قيل : أنه ﷺ قال ذلك بمكة (٤) ، وهو يشير هنا إلى أن المدينة باعتبارها قاعدة للإسلام ، ومركزاً للدولة الإسلامية ، سوف تغلب ما سواها ، وقد تحقق وقوع ذلك ، فإن سائر البلاد في العهد النبوي ثم الراشدي ، افتتحت منها كما يذكر الصالحي (٥) .

ومعنى ذلك فيما يبدو أن الأمر بتنفيذ حملات الفتح الإسلامي إنما صدر من المدينة حاضرة الدولة الإسلامية حتى نهاية عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . وبعد الهجرة جاء الأمر بالجهاد فكانت السرايا والغزوات ، وأولى الغزوات القوية التي اصطدم فيها المسلمون بقريش ، غزوة بدر الكبرى ، والتي شهدت تحقيق

(١) سورة النعام ، الآية : ٨٩ .

(٢) انظر : الطبري . جامع البيان ، مج ٥ ، ٧ / ١٧٤ . ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ١٧٤/٢ .

(٣) البخاري . الصحيح مع فتح الباري . كتاب فضائل المدينة ٤ / ٨٧ .

(٤) ابن حجر . المصدر نفسه ٤ / ٨٧ .

(٥) انظر : سبل الهدى والرشاد ٣ / ٤٥٩ .

الوعد الإلهي بهزيمة جمع المشركين ، ووعد النبي ﷺ بمصرع قادة قريش كما مر بنا ، وبعد سنوات معدودة جاءت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية والتي جاءت مؤذنة (على المستوى العملي) بامتداد الدعوة وانتشارها في المجال العالمي ، وجاءت نتائجها مجهزة على العقبات والعوائق السياسية في العراق وفارس والشام التي كانت تحول دون امتداد رسالة الإسلام . ومن ناحية أخرى أكدت هذه النتائج - أي نتائج الفتوحات- صدق وعد الله تعالى ووعد رسوله ﷺ تلك الوعود التي لا يخفى أن جزءاً منها جاء في العهد المكي والدعوة في حال حصار وابتلاء ، كقوله تعالى في سورة فصلت : ﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١) ووعوده ﷺ التي مرت بنا والمتضمنة الإشارة إلى إتمام أمر الإسلام^(٢) ، وحياسة المسلمين لكنوز كسرى وقيصر^(٣) ، وهي دعوة كان رسول الله ﷺ يذكرها للصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ، طوال مراحل نبوته . ولقد كانت تلك الوعود حاضرة في أذهان الصحابة رضي الله عنهم أثناء تجهيز حملات الفتح . ومما يدل على ذلك .. أن الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يذكران المسلمين بتلك الوعود^(٤) ، كما أن المسلمين كانوا يذكرون أهل الملل والنحل الأخرى بوعد الله تعالى ونبيه محمد ﷺ بالتمكين والظهور^(٥) .

ولئن كان بعض المستشرقين - كما مر بنا - يرى في حركة الفتوح والانتشار

(١) الآية : ٣٥ ، انظر : الهمداني . تثبيت دلائل النبوة ١ / ١٤ .

(٢) انظر : البخاري . صحيحه . كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٤ / ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) انظر البيهقي . دلائل النبوة ٢ / ١٦٢ .

(٤) انظر مثلاً : البيهقي . السنن الكبرى ٩ / ١٧٩ ، الطبري . تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٤٤٥ .

(٥) انظر مثلاً : أقوال المغيرة بن شعبة للقائد الفارسي (ذو الحاجين) وأقوال وفد المسلمين لقائد

الفرس في القادسية "رستم" . الطبري . تاريخ الأمم والملوك ٤ / ١٤٢ ، ٥٢٨ .

عمالاً لم يسبقه معرفة نبوية باتساع الأمة ونموها فهاهم الصحابة رضي الله عنهم في أثناء حركة الفتوحات يؤكدون على ما قاله الرسول ﷺ من وعود وأخبار كانت في عهد الرسالة من الغيب والوعود المستقبلية: فإذا هم يبصرونها عياناً وقد تحققت في الواقع المشهود . يرى ضرار بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح المدائن قصر كسرى الأبيض ، فيهتف قائلاً : "الله أكبر أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله" (١)، ولا يخفى أن ربط الصحابة بين حركة الفتوح ووعود النبي ﷺ مما ينسف تلك الادعاءات والمزاعم . ويحاول آخرون تشويه مقاصد الوعود النبوية، بالزعم أنها تغري (العرب) بانتزاع أولاد الآخرين وأرضهم ، وتشويه مقاصد الحركة النبوية أساساً وهذا ما نجده عند (corn patricia) عندما ترى في حركة الفتوح مجرد امتداد لحروب العرب وفارس في ذي قار ، بل ترى أن الحركة النبوية أساساً حركة بدائية ضد الأجانب (٢) .

تلك محاولة لتغيب البعد الإعجازي المتمثل في دلالة حدوث تلك الفتوحات على صدق النبي ﷺ والطابع الإنساني والحضاري الذي تتميز به هذه الرسالة . إن تحقق الإنجازات التاريخية التي شهدتها الأمة الإسلامية في صدر الإسلام

(١) الطبري . المصدر نفسه ٨/٤ .

(٢) Meccan Trade and the Rise of Islam .pp.245, 247,249

وقد صدر هذا الكتاب عن جامعة برنستون الأمريكية ١٩٨٦م متضمناً طائفة من المزاعم والأكاذيب، فهي تشبه الدعوة بحركة قامت في نيوزلندا عام ١٨٦٠م . يظهر أن الباحثة لكي تؤكد بدائية الدعوة وبدائية موطنها ، كما تزعم ، فقد سلبت المجال الذي ظهرت فيه أبرز مظاهر حضارته وهو النشاط التجاري الواسع الذي كانت قريش تقوم به ، وهذا النشاط وبحكم ما واکبه من صلات مع أبرز القوى العالمية وما يدل عليه من وجود كفايات بشرية مكية في أعمال التنظيم والإدارة ، يدحض وسم قريش ككل بالبدائية، انظر :

Opcit, p. 170 - 171, 247, 248

والتي افتتحت بالهجرة وظهور دولة الإسلام بالمدينة وما تبع ذلك من ظهور الإسلام في جزيرة العرب ، ثم حركة الفتوحات الإسلامية خلال عصر الصحابة ؛ إن تحققها يعني تحقق ما أخبر عنه رسول الله ﷺ وما وعد به من ظهور وغلبة للإسلام .. ومعلوم أن جزءاً من تلك الأخبار والوعود جاء في العهد المكي من الدعوة، ويعد تحققها إعجازاً تاريخياً نبوياً وعلامة من علامات النبوة ودلالة من دلائلها . يذكر بعض الباحثين أن من أعظم ما لازم الدعوة الإسلامية من علامات النبوة والمسلمون واقعون تحت كل الاضطهادات الفاشمة وبعضهم كان هارباً بدينه عبر البحر تأكيد الحق بأن الله سينصر أهلها على أعدائها ويجعل كلمتهم العليا وكلمة الكافرين السفلى^(١).

إن المسافة الزمنية قليلة بين وعود النبي ﷺ بحياسة الأمة لكنوز كسرى وقيصر وتهكم أبي جهل^(٢) والأسود بن عبد يغوث^(٣) بهذه الوعود ، وبين الإتيان بكنوز الفرس إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث رأى المسلمون "منظراً لم ير مثله" رأوا الذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ .. وعند ذلك قال عمر رضي الله عنه " اللهم إنني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً ، فإني أسمعك تقول : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ثم قال : أين سراقه بن جعشم ؟ فأتى به أشعر الذراعين دقيقتهم فأعطاه سوارى كسرى، فقال البسهما ففعل ..^(٥) ومع هذه

(١) محمد فريد وجدي . السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ، ص ١٣٦ .

(٢) انظر : ابن هشام . سيرة النبي ﷺ ٢ / ٩٥ .

(٣) انظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ٢ / ٧٥ . الصالحي . سبل الهدى والرشاد ٢ / ٦٠٧ .

(٤) سورة القلم ، الآية : ٤٤ .

(٥) البيهقي . السنن الكبرى ٦ / ٣٥٧ ، بإسناده إلى الشافعي، وانظر : دلائل النبوة ٦ / ٢٢٥ .

المسافة الزمنية القليلة : إلا أن ما أنجز خلالها كان عظيماً؛ لأن إعداد إنسان الفتوحات وبناء الأمة المنقذة للإنسانية التي تحمل رايات العدل والإنصاف، والعمل الدؤوب، والجهاد المتواصل إنجازات وأعمال تم تنفيذها في عهد الرسالة وجاء جزء منها في المرحلة المكية من عهد النبوة .

الخاتمة :

بينت الدراسة أن إخبار النبي ﷺ بما سوف يقع من الأحداث هو من الغيب الذي أطلع الله عليه .. ومن ذلك إخباره ببعض النتائج التي سوف تحرزها الدعوة وأهمها : الظهور والغلبة وتمام أمر الإسلام، فكل ذلك من الغيب ومن وحي الله الذي أحاط بكل شيء علماً .

وأبرزت الدراسة أن من أهم ما أخذ به النبي ﷺ وهو يقود الدعوة نحو المستقبل : الإعداد الإيماني وتوطين الصحابة على الثبات ، وبذل الجهد في سبيل نشر الدعوة : إضافة إلى التفكير في الأمور ، والنظر في العواقب ، واصطحاب التفاؤل ، وحسن الظن بالله .

أوضحت الدراسة أن الرسول ﷺ كان واثقاً من تمام أمر الإسلام وظهوره وغلبته : مدركاً أن مجال الدعوة وأفقها أوسع من رقعة مكة الجغرافية . وتضمنت الدراسة مجموعة من النصوص التي جاءت في المرحلة المكية من العهد النبوي والمنبئة عن ظهور الدعوة وانتشارها ، والواعدة باندحار وهزيمة العقبات المحلية التي وقفت ضد الدعوة .

كما تضمنت الدراسة أيضاً نصوصاً تنبئ عن حيازة المسلمين للإمكانات المادية الضخمة التي تتمتع بها دولتا الفرس والروم .

ثم تعرضت الدراسة لآراء بعض المؤرخين الغربيين الذين أنكروا أو شككوا بوجود أي تصور يحمله صاحب الرسالة الخاتمة عن انتشار دعوته وامتدادها ، وناقشت بعض تلك الآراء . ومن ثم خلص الباحث إلى القول بأن تلك الآراء تتهاوى أمام النصوص الصريحة الموضحة أن النبي ﷺ كان يحمل يقيناً لا يتزعزع بانتشار دعوته وظهور الإسلام وامتداده إلى خارج الجزيرة العربية .

وأخيراً عرجت الدراسة على ذكر بعض ما تحقق من وعود منبئة عن ظهور الدعوة وانتشارها ، حيث جاءت وقائع التاريخ مصدقة لتلك الوعود ، فلقد بدأت معالم الظهور والانتشار في الاتضاح عندما اكتسب الإسلام بعد الهجرة قاعدة ينطلق منها ، كما تجلّى ذلك الظهور والانتشار في حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية التي كانت مؤذنة على المستوى العلمي والتنفيذي بامتداد الدعوة وانتشارها في المجال العالمي ، وجاءت نتائجها مجهزة على عقبات وعوائق كانت تحول دون امتداد الإسلام .. وهكذا تحققت تلك الوعود والأخبار النبوية وأصبحت واقعاً تاريخياً مشهوراً .. هذا وأرى أن تأخذ تلك الوعود الربانية والنبوية التي جاءت في غمرة أحداث السيرة المكية قدراً أكبر من الاهتمام في هيكल موضوعات السيرة في جزئها المكي (وكذلك المدني) بحيث تضم تلك النصوص إلى بعضها ويجمع ما تتأثر منها في مصادر السيرة الأصلية ؛ لتكون موضوعاً قائماً بذاته بين موضوعات السيرة .

أرجو من الله تعالى أن يغفر لي زلة القلم وعثرة اللسان والله ولي التوفيق .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر القديمة :

- ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ) . أسد الغابة في معرفة الصحابة -٠ بيروت : المكتبة الإسلامية ، (د.ت) . الكامل في التاريخ -٠ بيروت : دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٥ هـ
- ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) . سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث ؛ تحقيق محمد حميد الله -٠ تركيا : دار الوقف ، ١٤٠١ هـ .
- الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) . دلائل النبوة؛ تحقيق روااس قلعجي وعبد البر عباس-٠ ط ٢ -٠ بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٦ هـ .
- البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) . صحيح البخاري -٠ تركيا : المكتبة الإسلامية ، (د.ت) .
- البيهقي ، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ) . دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ تحقيق عبد المعطي قلعجي -٠ بيروت ، ١٤٠٥ هـ. السنن الكبرى -٠ حيدر آباد ، الهند : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٤ هـ .
- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨ هـ) . النبوات -٠ بيروت : دار الفكر ، (د ، ت) .
- ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥١هـ) . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الفكر (د.ت) . تهذيب التهذيب -٠ ط ١ -٠ الهند ، حيدر آباد ، ١٣٢٥ هـ .

- ابن حنبل ، الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) . المسند : ترتيب أحمد عبد الرحمن البنا في "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد - القاهرة : دار الشهاب (د . ت) .
- أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) . السنن : تحقيق محمد محيي الدين - تركيا : نشر المكتبة الإسلامية ، (د . ت) .
- الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) . تاريخ الإسلام ، السيرة النبوية : تحقيق عمر تدمري - ط ١ - بيروت : دار الكتاب ، ١٤٠٧ هـ .
- ابن سعد ، محمد بن سعد (٢٣٠هـ) . الطبقات الكبرى - بيروت : دار صادر (د . ت) .
- ابن سلام ، محمد بن سلام ، (ت ٢٣١هـ) . طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر ، جوزيف هل ، ودراسة عن المؤلف للأستاذ طه أحمد إبراهيم - ط ٢ - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ هـ .
- ابن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن اليعمري (ت ٧٣٤هـ) . عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - ط ٢ - بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ م .
- الصالحي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - ط ٢ - القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .
- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) . تاريخ الأمم والملوك ؛ تحقيق أبو الفضل إبراهيم - بيروت : دار سويدان (د ، ت) . جامع البيان في تفسير القرآن - بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨ هـ .
- الفيروز آبادي ، محيي الدين بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) . القاموس المحيط - ط ٢ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ .

- ابن كثير ، عماد الدين (ت ٧٧٤هـ) . البداية والنهاية - بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ . تفسير القرآن العظيم - القاهرة : دار الحديث . ١٤١٥ هـ .
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) . زاد المعاد في هدي خير العباد - ط٢ - بيروت : دار الفكر، ١٣٩٢هـ .
- النيسابوري ، الحاكم النيسابوري (٤٠٤هـ) . المستدرک علی الصحیحین - بيروت: دار المعرفة (د . ت) .
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) . الجامع الصحيح - تركيا ، إستانبول : المكتبة الإسلامية (د . ت) .
- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) . سيرة النبي ﷺ ؛ تحقيق محمد محيى الدين - القاهرة : دار الفكر، ١٣٥٦هـ .
- الهمداني ، عبد الجبار بن أحمد (٤١٥هـ) . تثبيت دلائل النبوة: تحقيق عبد الكريم عثمان - بيروت : دار العربية ، ١٣٨٦هـ
- الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - القاهرة ، ١٤٠٧هـ .
- الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) . المغازي؛ تحقيق مارسدن جونس - ط٣ - بيروت ، ١٤٠٤هـ .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨١هـ) . تاريخ اليعقوبي - دار بيروت ، ١٤٠٠هـ .

ثانياً : المراجع الحديثة :

- أحمد ، مهدي رزق الله . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية - ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ .

- أرنولد ، توماس . الدعوة إلى الإسلام : بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية؛ ترجمه إلى العربية وعلق عليه، حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين -٠ دار النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م .
- بروكلمان ، كارل . تاريخ الشعوب الإسلامية : تعريب نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي -٠ ط٧ -٠ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ م .
- حسن ، حسين الحاج . حضارة العرب في عصر الجاهلية -٠ ط٢ -٠ بيروت : المؤسسة الجامعية ، ١٤٠٩ هـ .
- حمادة ، محمد ماهر . مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ -٠ الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٢ هـ .
- خليل ، عماد . دراسة في السيرة -٠ ط٣ -٠ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ .
- درمنجم ، إميل . حياة محمد : ترجمة محمد عادل زعيتر -٠ دار إحياء الكتب العربية (د . ت) .
- ديورانت ، ول . قصة الحضارة ، المجلد (٧) ، ج ١٣ : ترجمة محمد بدران -٠ بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨ هـ .
- زكريا ، زكريا هاشم . المستشرقون والإسلام -٠ القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٥ هـ .
- السعود ، سليمان بن علي . أحاديث الهجرة -٠ برمنجهام ؛ بريطانيا : مركز الدراسات الإسلامية ، ١٤١١ هـ .
- السلطان ، فهد بن صالح . النموذج الإسلامي في الإدارة : منظور شمولي للإدارة العامة -٠ الرياض ، ١٤١٢ هـ .

- السلمي ، محمد بن صامل . منهج كتابة التاريخ الإسلامي - ط ١ - الرياض : دار طيبة . ١٤٠٦هـ .
- السويكت ، سليمان بن عبد الله . محنة المسلمين في العهد المكي - ط ١ - الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٢هـ .
- الطرهوني ، محمد بن رزق . صحيح السيرة الذهبية ، المجلد الثاني - ط ١ - القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٤هـ .
- العشماوي ، محمد سعيد . الخلافة الإسلامية - ط ٢ - القاهرة ١٩٩٢ م .
- العلي ، إبراهيم . صحيح السيرة النبوية - ط ٢ - عمان : دار النفائس ، ١٤١٦هـ .
- على ، جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٨ م .
- العمري ، أكرم ضياء . السيرة النبوية الصحيحة - المدينة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٢هـ .
- فلهاوزن ، يوليوس . تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية : ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ومراجعة حسين مؤنس - ط ٢ - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م .
- مطبقاني ، مازن بن صلاح . الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي : دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس - الرياض : مكتبة الملك فهد ، ١٤١٦هـ .
- وات ، مونتجمري . محمد في مكة ؛ تعريب شعبان بركات - صيدا : المكتبة العصرية (د . ت) . محمد في المدينة ؛ تعريب شعبان بركات - صيدا : المكتبة العصرية (د . ت)

- الوادعي ، مقبل بن هادي . الصحيح المسند من أسباب النزول - ط ٤ ، ١٤٠٨ هـ .
- وجدي ، محمد فريد . السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - ط ١ :
جمعها وراجعها محمد رجب بيومي - ط ١ - القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ،
١٤١٣ هـ .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

Donner Fred.,

- Mecc's Food supplies and Mahammad's boycott, Journal of the Economic and Social history of the orient, Vol.XX partIII . 1977 .

Crone, Patricia:

- Meccan trade and the rise of Islam , Princeton, 1987 .